مقدمة المترجم أو... الخلاصة!

منذ بدأت فى ترجمة هذا الكتاب وأنا أحلم باللحظة التى أبدأ فيها كتابة رأيى فيما جرى العرف على تسميته «مقدمة المترجم» وأسميه أنا «الخلاصة». ذلك لأنه يحوى خلاصة رأيى فى عمل استغرقت قرابة الأربعة أشهر فى ترجمته. لكن قبل أن أبدى رأيى، أود أن أروى لكم تلك الحكاية الموجزة.

ذات يوم، هرعت كعادتي لدى استيقاظي، إلى تصفح آخر الأخبار الإلكترونية على فيسبوك، أو على غيره من المواقع الإخبارية. وجدت أن صفحة قناة "mbc2"، والتي تعد أشهر قناة تبث أفلاماً أجنبية مترجمة في العالم العربي، قد نشرت خبراً عن أرنون ميلتشان، المنتج الهوليوودي الشهير فاحش الثراء، والذي خرج عن صمته لأول مرة، واعترف في لقاء على القناة العاشرة الإسرائيلية، والتي يمتلكها مناصفة مع حاييم صبان، رجل الأعمال الإسرائيلي مصري الأصل، بأنه كان في الأصل جاسوساً إسرائيلياً، وأن الأموال الطائلة التي جناها من إنتاج الأفلام، كانت تذهب لدعم الترسانة النووية الإسرائيلية. وببحث موجز، وجدت أن صحفيين أحدهما إسرائيلي يدعى مائير دورون، والآخر أمريكي تطوع في الجيش الإسرائيلي

واسمه چوزيف جيلمان، قد ألفا كتاباً عن حياة المدعو أرنون ميلتشان وأسمياه "Confidential" أو سرى للغاية.

اتصلت بدار نشر سطور، والتى كانت قد نشرت لى كتابى المعنون «يهود هوليوود» وأخبرتها بأمر ذلك الكتاب الجديد، وبصلته الوثيقة بكتابى الأول، وباستعدادى للقيام بترجمته. وبالفعل، قامت دار النشر باقتناء النسخة الإنجليزية من الكتاب، وأناطت إلىَّ مهمة ترجمته، الأمر الذى أسعدنى، ذلك لأننى كنت أعرف يقيناً أنه يحمل الكثير من المفاجآت. وأوجز فى النقاط التالية «إنجازات» الجاسوس «المبدع» أرنون ميلتشان:

١- فشل جميع شبكات التجسس التى كونها منذ تجنيده للعمل لحساب الاستخبارات الإسرائيلية فى مطلع الستينيات وسقوطها.

٢- خيانته وتنكره لمعظم العملاء الذين جندهم للعمل لصالح وكالة الاستخبارات الإسرائيلية «لاكام» والتى كان من أهم مؤسسيها، هذا على الرغم من خدمتهم له وللوكالة بكل تفان. لكنهم ما إن سقطوا فى أيدى أجهزة استخبارات بلادهم، حتى تنكر لهم هو وإسرائيل، ولنا فى قصتى ريتشارد كيلى سميث وچوناثان بولارد، الأمريكيين اللذين تجسسا لصالح إسرائيل واللذين سنأتى على ذكرهما مثالٌ على ذلك.

٣- سيرد فى هذا الكتاب صور بشعة للخيانة من جانب الإدارة الإسرائيلية متمثلة فى وكالاتها الاستخباراتية لجميع الدول التى تزعم إسرائيل أنها من أقوى حلفائها مثل فرنسا، وإيران فى عصر الشاه، وجنوب إفريقيا بل والولايات المتحدة. نراها تسرق منها أحياناً، وتنقلب عليها أحياناً أخرى، بل وتتجسس عليها أيضاً. والأعجب أن الولايات المتحدة هى من أكثر الدول التى ضبطت إسرائيل تتجسس عليها، بمثل تتجسسها على إسرائيل.

٤- يتكشف لنا أيضاً أن الجاسوس ميلتشان زير نساء من الطراز الأول، أو أنه من أكثر الرجال وضاعة وخيانة لزوجاته وعشيقاته، ولنا فى قصة زوجته الأولى بريچيت جونمير التى حفيت قدماه لينال رضاها، ثم خانها وهى لم تنجب بعد طفلها الأول، مثال.

٥- أوضحت فى كتابى «يهود هوليوود» أنه عُرِف عن اليهود، فى مجملهم، أن عقليتهم مادية نفعية، الأمر الذى يحرمهم من فرص التمتع بالموهبة الفنية الحقيقية والإبداع الأصيل، ويجعل جل همهم جنى أكبر قدر من المكاسب المادية واللوچستية. ولو على حساب أبنائهم وذويهم. يتجسد

هذا فى شخص أرنون ميلتشان، تاجر السلاح -حسب وصف الكثير من أعضاء الوسط السينمائى الأمريكى له- فقير الموهبة والحس الفنى، والذى تم فرضه على المشهد السينمائى الأمريكى بفضل علاقاته بيهود هوليوود وعلاقاته بمدراء الاستديوهات الكبرى، وذلك من قبل الاستخبارات الإسرائيلية بعد فشله الذريع كعميل استخباراتى. إلا أن ميلتشان أثبت أيضاً فشله الذريع فى مجال الإنتاج السينمائى حيث قام بإنتاج ما يربو على ١٢٠ فيلماً على مدار أكثر من ٣٥ عاماً، ولم ينجح منها سوى ثلاثة أفلام أو أربعة على أكثر تقدير، وترك لنا رصيداً هائلاً من الأفلام التافهة التى فشلت مالياً وجماهيرياً.

٦- أخيراً وليس آخر، لقد أيقنت بعد ترجمتى هذا الكتاب أن الكيان الصهيونى المحتل المتمثل فى دولة إسرائيل لا يستهدف المنطقة العربية وحدها بالدمار وإشاعة الفرقة وإثارة النزاعات ولا يجعل منها عدوه الوحيد. حيث نكتشف فى هذا الكتاب أن إسرائيل تتعامل بنفس الروح العدائية وسوء النية مع دول تزعم أنها حليفتها. وربما فسر هذا الكتاب سر عدم ثقة كثير من الدول فى دولة إسرائيل. مثلاً، سنكتشف من قراءتنا للكتاب أن إسرائيل، ممثلة فى أرنون ميلتشان وغيره من العملاء، كانت تتقاضى أموالاً طائلة من نظام الحكم العنصرى السابق فى جنوب إفريقيا مقابل الترويج لنظام التفرقة العنصرية وسياسات الفصل العرقى واستهجان البشر عبر وسائل الإعلام فى مختلف الأنحاء، وأيضاً مقابل الحصول من جنوب إفريقيا على اليورانيوم لمفاعل ديمونة النووى الإسرائيلى.

نحتاج إلى قراءة هذا الكتاب بعناية وتمعن، حيث إننى حرصت على أن آتى بالمعلومة من مصدرها، بحيث لا يمكن لأحد أن يتهمنى بالتعصب وعدم

الموضوعية أو «معاداة السامية». فقد قاموا هم بنشر غسيلهم القذر وكشف مؤامراتهم الدنيئة وخيانتهم حتى لأقرب حلفائهم، وتفاخروا بها على أنها إنجازات وبطولات فى سبيل الوطن!.

المترجم